الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

أدبية الخطاب في رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة ماستر اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالبتان:

- راضية جوهري
- سناء خماية

إشراف الأستاذة:

- هنـد تمـار

السنة الجامعية 2020-2021

شكـــر وتقديـــــــــــــــــــــــــــــر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع نشكره شكرًا عظيما وحمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد:

نتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير إلى الأستاذة المشرفة " هند تمار" التي تفضلت علينا بالإشراف والتي ساندتنا بالنصح والإرشاد والتوجيه طيلة مسار بحثنا ولم تبخل علينا بنصائحها القيمة ولا وقتها الثمين.

كما نشكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي ونخص بالذكر الدكتور حمزة قريرة على مجهوداته المبذولة من أجل الطلبة خلال كل سنوات الدراسة.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من مدّ لنا يد العون وكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

"وَمَا تَوْفِيقِنا إِلَّا بِاللَّه ِعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْهِ ننِيبُ"

إهـــــداء

سبحانك ربي لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه

ها قد وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد جهد ومشقة وها أنا أختم بحث تخرجي بكل حب ونشاط وعليه أهدي ثمرة جهدي:

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز، والتي وقفت بجانبي في كل أوقاتي الصعبة ولولاها ما وصلت إلى هنا فلم تدخر جهداً يوماً في سبيل إسعادي على الدوام "أمي الحبيبة"

إلى عمود البيت خير مثال لربّ الأسرة الذي أفنى حياته كلها في تربيتي وتعليمي ولم يبخل على بشيء، سندي في الحياة "والدي العزيز"

إلى أعزّ وأغلى ما أملك في الوجود إخوتي وأخواتي سندي

إلى صديقاتي وأقاربي ومعارفي الذين أحبهم

إلى جميع أساتذتي ومعلمي، إلى كل من علمني حرفا طيلة حياتي الدراسية

إلى زملائي في العمل وكل من كان له فضل في مسيرتي هذه ومساعدتي ولو باليسير.

راضيـــة

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها " أمي الغالية" يا رب إنها ليست معي ولكنها في قلبي وفي دعائي، اللهم ارحمها بقدر ما تمنيت لها البقاء.

كما أهدي هذا العمل إلى من علمني العطاء دون انتظار المقابل، يا من زرعت في قلبي أسمى المعاني، إلى ذلك الصرح العظيم الذي علمني الخلق الكريم، صاحب الفضل الكبير "والدي العزيز"

إلى إخوتي وسندي في الحياة إلياس وجمال.

إلى الغالي على قلبي " بلال" وإلى جميع أفراد العائلة كبيراً وصغيراً.

إلى رفيقة دربي وأستاذتي الفاضلة صديقتي الغالية " هند تمار".

إلى صديقاتي وزملائي في العمل وإلى أساتذتي الكرام إلى كل من علمني حرفاً.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

سنـــاء

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آل بيته الطاهرين، وصحبه الغر الميامين ومن اتبع هديه وسنه بسنته إلى يوم الدين

أما بعد :

يبنى الخطاب الأدبي على اللغة فهي ركيزته الأساسية، إذ تعد أساس التعامل والتواصل اللساني، تستعمل لحمل الأفكار ومشاركتها وللتعبير عن المشاعر المختلفة للإنسان، والخطاب هو الوعاء التي تنتقل بواسطته تلك الأفكار، إذ يحمل من المشاعر ما ينقل الخطيب أحاسيسه وأفكاره للمتلقي.

يمثل الخطاب رسالة بين عنصرين " المُرسل والمرسَل إليه" فهو إذاً حدث اجتماعي إطاره اللغة ووعاؤه الزمان والمكان، إذ يهدف الخطيب من خلاله إلى إحداث التواصل الاجتماعي عن طريق تمرير الأفكار والآراء لمتلقيه من أجل التأثير فيهم واستمالتهم.

ويأتي الخطاب إما شعراً إما نثراً؛ فمن الجانب النثري انتشرت الرسائل وتنوعت من رسمية ديوانية وإخوانية خاصة وغيرها، ولكن لم تحظ الرسائل بقدر كاف من الدراسة والعناية من قبل الأدباء والكتاب رغم الكّم الهائل التي تحتويه من جمالية، لغةً وأسلوباً وكذا شكلاً ومضموناً، وهذا ما دفعني إلى الالتفات والاهتمام بدراسة الرسائل، وعليه اخترت أبرز وأهم أعلام الأدب " عمرو بن بحر الجاحظ " من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، لإبداعه في كتابة الرسائل، وتميّزه بجمال أسلوبه ولغته، وحسن إيقاعه وكذا ما يساهم بقوة في عملية الكشف عن الجوانب الفنية والجمالية داخل هذا العمل الأدبي.

فقد اخترت رسالة من رسائل الجاحظ كنموذج لهذه الدراسة، وعليه جعلت هذه الدراسة تحت عنوان " أدبية الخطاب في رسالة الحنين إلى الأوطان لـ الجاحظ."

لتبحث عن أدبية الخطاب في رسالة الحنين إلى الأوطان، نطرح إشكالية رئيسية مفادها – **ما هي جماليات وأدبيات الخطاب في رسالة الحنين إلى الأوطان؟**

وهذه الإشكالية تطرح إشكالات فرعية هي كالآتي:

-ما هي خصائص أسلوب الجاحظ في الرسالة؟

-كيف ساهمت البنية الشكلية للرسالة عند الجاحظ في إبراز جماليتها؟

-ما الألوان البلاغية التي تضمنتها الرسالة؟

أما عن أسباب اختيار الموضوع فكانت ذاتية وموضوعية، أما الذاتية فتتمثل في إعجابنا بشخصية الجاحظ وأسلوبه الأدبي المتميّز، واعتزازنا وفخرنا بلغتنا العربية وبأعلامها الكبار، وأما الموضوعية فتتمثل في إمكانية إخضاع النص القديم لآليات وإجراءات النظريات الحديثة، والكشف عن خصائص الكتابة في العصر العباسي للوقوف على الجماليات الأدبية والفنية في رسالة الحنين إلى الأوطان، وهذا ما حفزنا على الخوض في هذا البحث المتواضع

ولقد اخترنا منهجاً لهذه الدراسة فرضته طبيعة الموضوع المختار، وهو المنهج السيميائي الذي يتناسب مع الإشكالات المطروحة.

ووفقاً للمنهج المعتمد في الدراسة فقد عمدنا إلى رسم خطة تتوافق معه وهي كالآتي:

مقدمة ثم مدخل ويليها ثلاث فصول ثم خاتمة؛ أما بخصوص المدخل فقد تناولنا فيه ضبط مفاهيم نظرية حول كل من مصطلح الأدبية والخطاب والرسالة، ثم يأتي الفصل الأول الخاص بالجاحظ وحياته الفكرية وأسلوبه الأدبي، والفصل الثاني بعنوان" البحث في عتبات النص في رسالة الحنين إلى الأوطان" وقد تناولنا فيه عنصر الاستهلال والعنوان وبنية المقدمة وبنية الختام، وفصلٌ ثالث خصصناه للدراسة الفنية من بديع وبيان لإظهار الأساليب الفنية والجمالية التي وظفها الجاحظ، ثم خاتمة تنم على أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

حاولنا الرجوع إلى الدراسات السابقة التي تتناول هذا الموضوع فوجدنا أنها تتمثل فيما يلي، "أدبية الخطاب في رسائل" أبو عبد الله بن أبي الخصال" للطالبة بيرش سارة، وكذا

أدبية الخطاب النثري عند القاضي عياض، وأدبية الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لـ " ابن الأثير"، وبنية الرسالة الأندلسية عند لسان الدين ابن الخطيب.

كما اعتمدنا في مسار الدراسة على جملة من المصادر والمراجع أهمها :

-بلاغة الكتاب في العصر العباسي "دكتور محمد حجاب."

-في البلاغة العربية (علم المعاني البيان البديع) عبد العزيز عتيق.

-البلاغة والأسلوبية "هنري بليث" ترجمة العمري.

-الأسلوب في الشوقيات " الطرابلسي."

-كتاب الصناعتين " أبي هلال العسكري."

-الهوامل والشوامل لـ "أبي حيان التوحيدي."

-في نظرية الأدب لـ " شكري عزيز الماضي."

وغيرها من المراجع التي سايرتنا في بحثنا.

وكأي بحث، قد واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل تمثلت في صعوبة الحصول على بعض الكتب والمراجع المهمّة من المكتبات، مع عدم توفرها على الأنترنت، وكذا محدودية الدراسات التي تناولت موضوع الخطاب في الرسائل.

وفي الأخير، نوجّه فائق الشكر والعرفان والامتنان للأستاذة المشرفة على مرافقتها لنا طيلة مسيرة دراستنا، وعلى حسن توجيهاتها ونصائحها وتشجيعها لنا، وكذا نشكر كل الأساتذة الذين دعمونا بكافة المراجع أثناء جمع المادة ومساعدتنا لإنجاز هذه الدراسة وإتمامها ولن ننسى كل من مدّ لنا يد العون من قريب ومن بعيد كل التحية والتقدير.

والله أسأل التوفيق والسداد.

مدخل

مفاهيم نظرية حول الأدبية . الخطاب . الرسالة

1/-مفهوم الأدبيــة:

الأدب نوع من أنواع التعبير عن الذات ومشاعر الإنسان، وأفكاره، وآماله، وتطلعاته عن طريق شتى أنواع الفنون والأساليب، حيث تعود كلمة الأدبية في مفهومها اللغوي إلى لفظة "أدب"، كما ورد في لسان العرب "الأدب الذي يتأدّب به الأديب من النّاس، سمي أدبا لأنه يُؤدِب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة"[1] فيقال أدِب بمعنى الداعي إلى الطعام، كما تطلق الفضيلة قولاً كانت أم فعلاً " إن الأدب الذي يعني الفضيلة والخلق الحسن صار يعني تعليم الفضيلة والخلق الحسن والتدرب عليهما، وحمل الناس على السلوك الطيب"[2].

فالأدب هنا ذو معنيين، الأول هو أدبٌ لروح الإنسان من صفات وأخلاق حميدة وحسنة يتحلى بها، والمعنى الثاني هو التعلّم والتّدرب على فنون الكلام من فصاحة وبلاغة ولغة وأسلوب وغيرهم من الفنون.

كما جاءت كلمة (الأدب) بمعنى "التّهذيب" لقوله صلى الله عليه وسلم "أدَّبني ربي فأحسن تأديبي"، أي هذَّبني.

ظهرت جملة من المفاهيم عند الفلاسفة في علم النّفس حيث نجد مفهوما للأدب يتمثل في كونه " مرآة عقل الأديب ونفسه أو هو صورة من صور التعبير عن النفس"[3]، وكذا فرويد يعتبر " الأدب والفن صور محولة عن دوافع مكبوتة في اللاشعور"[4]؛ ومعنى ذلك أن الأدب هو وسيلة ولغة تعبير الأديب عن أحواله وأفكاره وعن واقع الحياة التي يعيشها.

---

[1] -ابن منظور، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1424، مجلد1، مادة: أ، ب، ص245.

[2]- العاكوب عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، ط1، (1997،2006)، ص19.

[3]- شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993م، ص150.

[4]- المرجع نفسه، ص 150.

والأدب "عبارة عن مؤلفات شعرية أو نثرية لا تزال حية لقدرتها المستمرة على الإثارة الفكرية أو العاطفية، وهي ضرورة من ضرورات الحياة عند الشعوب المتحضرة، لأنها تربى ملكات الذوق والإحساس عند البشر، كما تربى العلوم الرياضية ملكات المنطق والتفكير"[1]؛ ويعني ذلك أن الأدب هو كل عمل يثير ويحرك عواطف ومشاعر المتلقي لهذا العمل مع تنشيط واستلهام أفكاره.

ومن خلال التعريفات السابقة للأدب كونه لغة الأديب وأسلوبه في الحياة والتعبير عما بداخله من مشاعر وأفكار، نخلص إلى أن الأدبية هي معيار أو مقياس عند الأديب أثناء تحليله للنص وتفسيره وفق معايير وقواعد محاولا إبراز قِيَّمه الجمالية والفنية وكذا الشّكلية مع براعة اللغة ودقة الأسلوب وكذا بغرض التأثير في المتلقي لهذا العمل واستلهام مشاعره، حيث يهدف الأديب لنقل عواطفه وأحاسيسه إلى المتلقي، وهذا ما يجعل من عمل ما عملا أدبياً خالصاً.

2/-الخطــاب:

يعدّ الخطاب من المفاهيم التي اختلف حولها العلماء في وضع وضبط تعريف محدد له وهذا راجع لتنوع أشكاله بحيث يتغير مفهوم الخطاب بتغير موضوعاته وأنواعه، فالخطاب في اللغة مأخوذ من فعل خَطَبَ أي تكلّم وتحدّث.

كما ورد في لسان العرب:" الخَطب: الشأن أو الأمر، صغُر أو عظُم، وقيل هو سبب الأمر. يُقال: ما خطبُك؟ أي ما أمرُك."[2]

كما نلاحظ بعض الآيات في القرآن الكريم وردت فيها لفظة (خطاب) بعدة صياغات،

---

[1]- محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ص 06.

[2]-ابن منظور، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1424، مجلد1، مادة: أ، ب، ص.

يقول تعالى:" وَلَا تُخَٰطِبنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغرَقُونَ"[1]، جاءت لفظة (لا تخاطبني) بمعنى لا تسألني في هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك، فـ كلمة (لا تسألني) من الكلام والحديث؛ أي المخاطبة.

ولقوله تعالى كذلك: "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما"[2]؛ أي إذا كلَّمهم الجُهّال بسوء الكلام لا يقابلونهم بالمثل بل بالعفو والصّفح.

إنّ مصطلح الخطاب أكثر المصطلحات تداولاً عند العرب نظراً لجديَّة المصطلح ولكثرة موضوعاته وتنوع أشكاله؛ فهو "مرتبط بالكلام ومراجعته وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان"[3]؛ أي النّص لا يعتبر خطاباً إلا إذا أخرجه صاحبه إلى المتلقي.

ويتضمن الخطاب الأدبي النثر والشعر " إنّ النّظم والنّثر نوعان قسيمان تحت الكلام، والكلام جنس لهما "[4]؛ أي الكلام ينقسم إلى منظوم ومنثور.

ويعرّف الخطاب بأنّه "مجموع خصوصي لتعابير تتحدد بوظائفها الاجتماعية، ومشروعها الأيديولوجي"[5]، "هو تحقيق دلالات اللغة في مواقف محددة وهكذا، فإنّ باستطاعتنا تحديد الخطاب بالمعنى الأكثر عمومية إنّه اللغة في حال الفعل، وبمعناه أكثر خصوصية عبر التاريخ، يعني الخطاب شكلا محددا وبالتالي نوعاً معيناً "[6].

---

[1]– سورة هود، الآية 37.

[2]– سورة الفرقان، الآية 63.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، مجلد1، ص 361.

[4]– الهوامل والشوامل، التوحيدي ومسكويه: تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص 309.

[5]–يول آرون، دينيس سان، جاك، آلان فيالا، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمود محمد حمو، ص 476.

[6]–سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار النشر اللبناني، بيروت، ط1، 1405هـ،1985هـ، ص83.

والخطاب حسب بنفيست هو " كل تلفظ يفترض متحدثًا ومستمعاً، تكون للطرف الأول نيّة التّأثير في الطّرف الثاني بشكل من الأشكال"[1]، ومعنى ذلك هو كلّ كلام موجّه إلى الآخر بغرض التّأثير فيه واستلهام عواطفه ومشاعره.

وانطلاقاً مما سلف نصل إلى أنّ الخطاب في مفهومه العام؛ هو إجراء أو عملية تواصلية تحدث بين طرفين، أولهما المُلقِي وثانيهما المتَلقي عن طريق الكلام بغرض التأثير فيه وتحريك مشاعره ونقل ما في ذات الخطيب إلى السامعين؛ أي إخراج النّص من كونه كلام في الذات إلى المتلقي، إذاً فالخطاب هو الصّورة الحقيقة لفكر المُؤلف وعمَّ يجول في نفسه.

3/-الرســـالة:

إنّ الرسائل مجال واسع من مجالات الكتابة عُرف منذ العصور القديمة فقد كان النثر آنذاك ينقسم إلى جنسين أدبيين هما الخُطب والرّسائل، إذ يعتبر فن الرسالة من أسبق الفنون التي ظهرت في العصر الأندلسي، فقد اهتّم الأندلسيون منذ الفتح الأندلسي بالمراسلات فقد كانت الرسالة أهم وسيلة في الاتّصال بينهم، حيث جاء مفهوم الرسالة في اللغة بمعنى التّوجيه والإرسال حيث ورد في لسان العرب " الرّسالة مشتقة من مادة رَسَلَ، الرُّسُلُ: القطيع من كل شيء والجمع إرسال والرّسل الإبل"[2]، وكذلك لقول الفيروز آبادي: "التسليط والإطلاق لإهمال والتوجيه والاسم الرسالة بالكسر والفتح"[3]، راسَلَ: صاحبه في الشيء وعليه وبه، بعث إليه رسالة[4].

---

[1]– محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ص 1.

[2]– جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار النشر، بيروت، ط1، 1992، ص 281.

[3]–مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، ج03، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1399 هـ، 1979م، ط2، ص40.

[4]– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص120.

كما وردت مادة (ر.س.ل) في عدة آيات من القرآن الكريم بمعنى البَعْث، ومنها:

قوله تعالى: "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا"[1]البقرة 151؛ أي بعثنا إليكم رسولاً.

ولقوله كذلك: " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِير"[2] البقرة 119؛ أي بعثناك.

أما الرّسالة في معناها الاصطلاحي؛ هي كلام سواء كان مكتوباً أم شفهياً موجهاً إلى فئة معينة يحمل موضوعاً ما أو فكرةً معينةً أو شعوراً أو تعبيراً أو صيغاً أخرى، كتوجيه أمر أو نهي إلى غير ذلك.

" ويراد بالرسالة أصلا ما ينشئه الكاتب إلى غيره، في غرض من الأغراض فتشمل الخطاب كما تشمل الجواب، ومنه التوقيع وتشمل أيضاً المقالات الإنشائية والمناظرات الأدبية"[3].

وتعني: "ما يكتبه أمرئ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطوراً محدودة، أخلاقية الخ...يعبئ في سبيلها كل ما يتميز به من قدرة في التعبير وكل ما زخرت به نفسه من ثقافة"[4]، فهي بذلك إنشاء تعبيري للغير سواء خاص أو عام.

والرسالة فن من الفنون النثرية «قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من

---

[1]– سورة البقرة، الآية 151.

[2]– سورة البقرة، الآية119.

[3]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406هـ/1986م، ص95.

[4]–جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص122.

نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة. ومعان طريفة" [1].

فالرسالة في العموم قطعة نثرية قد تكون ممزوجة ببعض الشعر أو الاستشهاد إذا وُجِبَ ذلك، يتغير مقاسها حسب غرض كاتبها تتميز بقيمتها الفنية وبِنْيَتِها الخاصة، حيث يختلف هيكلها حسب نوعها.

يقول القلقشندي: "الرسائل هي جمع رسالة والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب، من حكاية حال من عدد أو صديق، أو مدح أو تقريض، أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى وسميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها، ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال"[2].

ويعرف أحمد الهاشمي الرسالة بمعنى: "المكاتبة وتعرّف أيضاً بالمراسلة وهي مخاطبة الغائب بلسان القلم، فادتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها ترجمان الجنيات، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما"[3]

وعليه فالرسائل تشبه الخطاب في معناها فهي كلام أو تعبير في ذات الكاتب يوجه إلى المرسل إليه عن طريق الكتابة.

أدب الرسائل فن مميز في التراث العربي فتعتبر العنصر الممثّل لعصر التدوين، فالرسالة جنس أدبي مستقل بذاته شأنه شأن الأجناس الأخرى كالخطابة والوصايا والمقامة وفن السيرة وغيرها؛ إذ ينقسم إلى نوعين: رسائل شخصية أو خاصة وكانت تسمى رسائل

[1]–عزيز عبد العتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص448.

[2]– القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، مصر، 1338هـ/1919م، ج14، ص138.

[3]– أحمد الهاشمي، جوهرة الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الجبل، ط01، 2003، ص41.

إخوانية وتعني تلك التي تكون بين الأفراد في معاملاتهم مع بعض، كموضوع التهنئة، أو التعزية، أو العتاب وغيره من أمور الحياة.

أما النوع الآخر فهو الرسائل الديوانية وهي التي تصدر عن ديوان الرسائل، تشمل عدة موضوعات كتولية العهد، وتولية القضاء، والولاة وما يرتبط بأمور الدولة؛ وعليه فالرسالة التي بين أيدينا " الحنين إلى الأوطان " لعمرو بن بحر الجاحظ تُصَنَّف ضمن الرسائل الإخوانية لخروجها من دائرة السياسة والديوان.

الفصل الأول: الجاحظ (حياته ومدرسته)

المبحث الأول: الجاحظ

المبحث الثاني: أسلوبه وخصائصه

المبحث الثالث: مدرسة التحليل والتفريع والاستقصاء

المبحث الأول: الجاحظ

1/ مولده ونسبه:

أورد جرجي زيدان في تعريفه للجاحظ فقال:"هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء، من أهل البصرة، ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه، واشتهر بقبح خلقته، وكان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكناني"[1]، هو شيخ الكتاب، وإمام الأدباء، هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ، ويتصل نسبه بكنانة بن خزيمة ...إذاً هو عربي النسب، مضري الأرومة... وما كان لنا أن نشكّ في ذلك لولا أنّ ياقوتا الحموي ينفي عنه هذه النسبة العربية، و يزعم أنّه كناني بالولاء، وأن جدّه فزارة كان مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، ومن ثم فتح باب التظني في نسبه[2]

أما عن سنة ميلاده فقد اختلف الكثير في تحديدها حيث يقول شارل بلات " ولد الجاحظ في البصرة التي وصلت إلى أوجّ ازدهارها، ولن نستطيع كما هو منتظر تعيين تاريخ ولادته بدقة، ولا ريب في أنّه نفسه كان يجهل هذا التّاريخ، وروي ياقوت أنه ولد سنة 150ه مستنداً إلى خبر منسوب للجاحظ نفسه جاء فيه قوله :(أنا أسنّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها) وجعل بعض المؤرخين ولادة الجاحظ سنة 155 ه و159ه و160ه و163ه و164ه و165ه "[3]

2/ نشأته:

نشأ الجاحظ بالبصرة، وتعدّ منذ القديم كعبة العلم، ومهبط العلماء، فيها نشأ النحو، وازدهر الشعر، وفيها عاش جهابذة اللغة، وأرباب الفتي والكلام. . . من أمثال أبي الأسود،

---

[1]– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 571.

[2]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 266.

[3]–شارل بلاث، تر: إبراهيم الكيلاني، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية، 1961، ص 90.

ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وأبي عمر بن العلاء، والأخفش الأكبر، والأصمعي، وأبي عبيدة، وخلف الأحمر، وواصل بن عطاء إمام المعتزلة، وأبي إسحاق إبراهيم النظام، فضلا عن التابعين: أبي الحسن البصري وابن سيرين، والصحابيين الجليلين: كأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك[1]

"وقد نشأ الجاحظ نشأة فقير يعمل ليعيش، قد روي عنه أنه كان يبيع الخبز والسمك بِسَيْحَانَ (وسيحان نهر البصرة)"[2]، "غير أنّ ميله إلى العلم وإدمانه القراءة وصبره الطّويل، قد مهّد له كل ذلك، طريق النبوغ وبالتالي طريق الثراء والشهرة ... ومن ثمّ كان فصيح اللّسان، واضح البيان، غزير العلم، قويّ الحجّة، سليم المنطق، ضرب في كل فن... تراه شيخ الكتاب، وإمام المؤلفين، تراه أيضا إماما في المتكلمين وحجة في الإخباريين..، بصيرا بطبائع الكائنات وعجائب المخلوقات" [3]

3/ حياته الأدبية:

انتقل الجاحظ من البصرة مسقط رأسه إلى بغداد بلد العلم والأدب طالباً لهما حيث " تلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش، وأخذ الكلام عن النظام، وكل من هؤلاء إمام في فنه"[4]

واطّلع على الثّقافة اليونانية، كما ارتاد البادية ليأخذ اللغة والأخبار وجاب كلا من دمشق وإنطاكية، بغية التّعمق في الثّقافة واللغة، فكان عقله زاخراً بالأخبار، والأنساب والأشعار والحكم والنّوادر.

---

[1]– ينظر، محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 267.

[2]– خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 09.

[3]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 267/ 268.

[4]– خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 09.

وقد ذكروا "أنّ الجاحظ في أوائل حياته كان يؤلف الكتب، وينسبها إلى ابن المقفع أو سهل بن هرون، ليقبل عليها القراء، فلمّا عرف فضله، ولمع نجمه انعكست الآية، وصار الوراقون يجمعون من الآثار ما يجمعون، وينسبونه لأبي عثمان ليكتب له الرّواج"[1]، فهو عالم مدقّق وباحث محقّق وإمام فذ ورمزٌ من رموز الأدب، صاحب خيال خصب يتميز بعلمه الواسع وتبحره العميق في علم الكلام، وتوسعه في العلوم الدينية والدنيوية

المبحث الثاني: خصائصه وأسلوبه

يمتاز الجاحظ عن غيره من الأدباء والكتاب بأسلوبه الأنيق وقدرته على الإنشاء والتعبير، حيث قال عنه خليل مردم:" لا أعرف في كُتّاب العربية كاتباً يداني الجاحظ في قوة طَبعه على الإنشاء، وانقياد الجمل إليه، فهو في النثر كالبحتري في الشعر"[2]، وقد عرف بأسلوبه القائم على الترسل الصناعي الذي يجمع بين السجع والازدواج والإطناب إذ يتمتع بعدة خصائص أهمها:

أ/ التعليل والتحليل:

اللذان استمدهما من ميله للفلسفة اليونانية التي تقوم عليهما، حيث أورد محمد نبيه حجاب في كتابه أن:" كتابته يرد الموضوع إلى مختلف عناصره، ليلم به من جميع أطرافه. . . فقد أملت عليه الفلسفة اليونانية التي تمرس بها، أن يحلّل ويعلّل، ويفترض ويستدلّ، فلا تراه يرسل قولاً على عواهنه، ولا يذكر قضية من غير دليل"[3]، و " أدبه أدبٌ حيٌّ مستمدٌ من الدّرس والتّفكير والتّجارب، ولا تكاد تجد مؤلفاً يعطيك من هذه الثلاثة كما يعطيك الجاحظ،

[1]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 268.

[2]– خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 09.

[3]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 277.

فهو يشارك الرواة في سعة حفظه وروايته، ويشارك الفلاسفة في تفكيره الحر واعتماده على المعقول"[1].

ب/ الاستطراد:

استعمل الجاحظ خاصية الاستطراد؛ أي الانتقال من موضوع إلى آخر وذلك ليبعد القارئ عن الشعور بالملل والضجر، حيث قيل:" كان الجاحظ يخرج من فن إلى فن، ومن موضوع إلى موضوع، وكأنّه يجول بالقارئ في رحلة سياحيّة بقطار المفاجآت ... وإذا علمنا أن هذه كانت طريقة أهل عصره، أمكننا أنْ نلتمس له العذر، إذ العدالة تقضي أن ننظر إلى الأديب بعين معاصريه، وأن نحكم له أو عليه مقترناً بزمانه ومكانه"[2]، ويعدّ الاستطراد صفة الأدباء الذين تغلب عليهم غزارة العلم وقد لازمته في جلّ مؤلفاته.

ج/ الفكاهة والسخرية:

يتعمد الجاحظ استعمال هذا الأسلوب لتمتيع القارئ وتخوفاً من مله " كان في جلالة قدره دعابةٌ وفكاهةٌ وخفةُ روح؛ فهو يخلط الهزل بالجد، ويجيد النكتة جوابًا وكتابةً وروايةً، ولا تجد كاتبًا من الكتَّاب شاعت النكتة في آثاره وحرص عليها مثل الجاحظ. وربما قُيد إلى النكتة بالسلاسل، فكان ذهوله ونسيانه فكاهة مستملحة، قال: «نسيت كنيتي ثلاثة أيام، حتى أتيت أهلي فقلت لهم: بِمَ أكتني؟ فقالوا :بأبي عثمان."[3]، ويبدو أنّه كان يقصد إليه عمداً، ليمتع القارئ أو ينأى به عن الضجر، فإذا تَخوَّف ملل القارئ وسآمة السامع، خرج من جدّ إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة

إذ روي الجاحظ عن نفسه أن جاءته امرأتان أخجلتاه لقوله:" ما أخجلني أحد مثل امرأتين، رأيت إحداهما بالعسكر، وكانت طويلة، وكنت على الطعام، فأردت أن أمازحها،

[1]– خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 23.

[2]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 280.

[3]– خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 25.

فقلت: انزلي كلي معنا. فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا..."[1]، فكان يمزجُ بين الدُّعابة والسّخرية وكذا بين الجدّ والهزل إمتاعا للقارئ، وقد اشتهر بهذه الخاصية لقول نبيه حجاب: " الفكاهة لون جديد من ألوان الأدب، قُرن باسم الجاحظ كإمام لهذا الفن"[2]

د/جزالة الألفاظ:

يعرف الجاحظ بحسن وضعه وإنشائه فقد كانت عباراته " متينة السّبك، جزلة الألفاظ، محكمة الرّبط، وثيقة الحَلقات وربَّما كان من العسير في بعض الأحيان أن ننتزع لفظاً من موضعه أو تستبدل به غيره من ذوي قرابته، أو ما تقدمه على ما أخره، لأنّه كان يرى لكل معنى لفظاً خاصاً لا ثاني له، ولا مناص منه لمن طلب البلاغة"[3]، فقد كان يرى البلاغة في حسن الألفاظ ومن ثم كان يدعو إلى الدّقة في اختبارها والتروي في انتقائها، "ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه، متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول، بريئاً من التعقيد، حبّب إلى النّفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت إليه القلوب، وخفّ على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره"[4].

وكما أنّه يهتم بقوة اللفظة وجزالتها وجودتها فإنه بارع في توليد المعاني وتسلسلها تسلسلا منطقيا يبعث بالهدوء والاطمئنان، كما يعرف بجمال الازدواج وحسن الإيقاع فضلاً عن جمال التقسيم ودقة الترتيب، ومراوحته بين الجد والهزل وبالاستيفاء والاستقصاء وكمال التفريع، ومن جهة أخرى نلحظ دقة التحليل والتعليل وهذا نابع من ميله وتأثره بالفلسفة اليونانية

[1]– محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 281.

[2]– المرجع نفسه، ص 249.

[3]– المرجع نفسه، ص 149.

[4]– الجاحظ، البيان والتبيين تح هارون، ج 3، ص 7.

كما يعتمد الجاحظ في إنشائه على توظيف الشواهد من القرآن الكريم والأحاديث والأشعار لأنه أحد كبار المعتزلة يمتاز بثقافة دينية عالية، وهذه الخصائص انفرد بها أسلوبه الأدبي الأنيق وتميّز بها عن سائر الأساليب.

المبحث الثالث: مدرسة الجاحظ (مدرسة التحليل والتفريع والاستطراد)

تلك هي مدرسة الجاحظ التي حملت لواء البيان عبر القرون، منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ... ولم تستطع المدارس بتياراتها المختلفة أن تطغى عليها أو تطوي صفحتها، بل سايرتها زمناً...، وقد ازدهرت اللغة في العصر العباسي على يد مجموعة من الأدباء

والنقاد ذلك لما رأوه من انحطاط في الأسلوب بابتذال في المضامين، حيث طغى السّجع وألغاز البديع، وساد فيه أسلوب المرسل، ولم تتوقف لها موجة، ولم ينقطع لها تيار، تلمحها في التوازن والازدواج عند الرافعي والزيات، والترديد والتكرار عند طه حسين، والتحليل والتعليل عند العقاد، والفكاهة والسخرية عند الشيخ عبد العزيز البشري[1].

1/-طابعها:

أخذت مدرسة الجاحظ أسلوبها من رافدين زاخرين:

1 – الطريقة القائمة على الإطناب والازدواج.

2 – الطريقة القائمة على التحليل والتعليل والجدل والحوار.

جمع الجاحظ في طريقته بين هذين، وزاد على الأولى حسن التقسيم وجمال الإيقاع والتقصي وكثرة الاستطراد. . . وزاد على الثانية جانب الفكاهة الساخرة وتوليد المعاني. . .

ثم أوغل في كل هذا بقوة حتى كان في إيقاعه أوقع، وفي ازدواجه أمتع، وفي تحليله أدق وأبرع.. كما كان لبقا في حواره، قوي اللدد في جداله، مريراً في تهكمه، يسيل رقة في

[1]– ينظر، محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 148.

طرائفه ونوادره. . . وبكل هذا طبعت هذه الطريقة التي عرف بها الجاحظ والتي ظهرت وبرهت، وذاعت وشاعت وطغت على غيرها من الطرائق، وإن كان سهل بن هرون

هو واضع حجرها الأساسي فإن الجاحظ هو من أعلى البناء[1].

2/-أعلامـــها:

إن أول رائد لهذه المدرسة هو سهل بن هرون، بما مهد لها من طرق، واختط لها من نظم. . .فلما فرعه الجاحظ انتقلت من يده الريادة واستقرت في قلم أبي عثمان. . .، وهذا سهل نفسه يعتَرِف ببلاغته ويقرّ له بهذه المكانة حيث يقول في معجم الأدباء: "إذا ثبت الجاحظ في الديوان أفَل نَجْمُ الكتّاب"، وعلى أية حال فإنّ ابن هرون كان عالما بارزاً من أعلام هذه المدرسة ورائداً ومرتاداً[2].

كما اقتدى بأسلوب الجاحظ الكثير من المعاصرين واللاحقين منهم:

ابن قتيبة والمبرد وقدامة والجرجاني والصولي والعسكري وأبي حيان والثعالبي ...وغير هؤلاء كثيرون من ذوي الآراء والمواهب، أولئك الذين لا همَّ لهم إلا إبراز الفكرة، وإصابة النظرة، فجنحوا بأقلامهم إلى التحليل والتعليل بألفاظ دقيقة وصافة، لطيفة شفافة، قانعين من جمال الموسيقى بجمال الازدواج وتعادل الفقرات، وحسن التقسيم [3].

---

[1]- ينظر، محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م، ص 150.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

[3]- المرجع نفسه، ص 150.

الفصل الثاني: البحث في عتبات النص في رسالة الحنين إلى الأوطان

- الاستهلال

- العنوان

- بنية المقدمة

- بنية الختام

تبنى الرسالة وفق هيكل عام مشكل أساسا من الاستهلال والعنوان والمقدمة والخاتمة.

1/ الاستهلال:

قد تعددت تعاريف لفظة الاستهلال، فهي في اللغة: " استهلال الصبي أنه إذا ولد لم يرث ولم يورث حتى يستهل صارخا وذلك أنه يستدل على أنه ولد حيا بصوته "[1] . ومعنى ذلك أنه البداية لكل فعل أو حدث أي ما يبتدئ به الفرد.

ويعرّفه أرسطو في الاصطلاح:" الاستهلال هو إذن بدء الكلام، ويناضره في الشعر: المصطلح، وفي العزف على الناي: الافتتاحية. فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو، والافتتاحية شبيهة بالاستهلال في النوع البرهاني ذلك أن عازفوا الناي إذا عرفوا لحناً جميلاً وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنّه لحنها"[2]

ومن خلال المفهومين اللغوي والاصطلاحي للفظة الاستهلال كونه بدء الكلام، نجد الجاحظ قد استهل رسالته الحنين إلى الأوطان بالدعاء وهو أول ما تقع عليه عين القارئ لهذه الرسالة، إذ تعتبر ميزة في إنشائه لأدبه ولا شك في ذلك نظراً للمذهب الذي ينتمي إليه، فهو أحد شيوخ المعتزلة وخطيبها وله كتب كثيرة في نصرة الدين والآداب والأخلاق.

فالدعاء في الإسلام هو عبادة تقوم على سؤال العبد ربَّه والطلب منه، هي من أحب العبادات إلى الله، خالصة له وحده دون شريك له، لقوله تعالى:" ادعوني استجب لكم" ...فالجاحظ هنا كونه ذو مذهب ديني لا يخفى عليه البدء بالدعاء في رسالته هذه ، فنجده في أول الصفحة من الرسالة يقول " ربنا آتنا من لدنك رحمة" ، فكان من خلال هذا الدعاء يسأل الله عز وجل رحمته و لطفه عليه، فربما كان يشكو ضعفه وقله حيلته أثناء تذكره لوطنه و حنينه و اشتياقه له لقوله:" من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة،

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص 838

[2]– أرسطو طالسين، الخطاب، تح / عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979 م، ص 130.

وإلى مسقط رأسها تواقة"[1]، فلا خير في امرئ لا يذكر وطنه ولا يحن إليه، فيبدو الجاحظ مثقل بالهموم، و الحنين، والاشتياق، وعتاب النفس على الفراق أو الابتعاد عن وطنه، فحاول من خلال هذا الدعاء التخفيف عن روحه الحزينة وطلب الرحمة و العطف من الله عز وجل له و لكل قارئ مغترب ، وهذا ما يدل إلا على إيمانه القوي بالله عز وجل وعلاقته الوطيدة والاستعانة به واللجوء إليه دون غيره أثناء الضعف، كما يوضح أن هذه الرسالة ليست موجهة للقارئ فقط أو مجرد موضوع مطروح بل هي حالة يعيشها، أرهقت نفسيته يريد أن يشاركها مع كل مغترب ومشتاق إلى وطنه، وبما أنّه معتزلي فكان أوّل ما استهل به هو اللجوء إلى الله عز وجل، فقد كانت الافتتاحية و الاستهلال رائعين حميدين معطرين بذكر الله.

2/ العنوان:

يعدّ العنوان الوحدة المركزية في أي عمل أدبي، فهو البوابة الرئيسية للغوص داخل العمل، وهو مفتاح النّص الذي يمكننا من أخذ توقع لمضمونه وعما يريد المؤلف توجيهه وإيصاله للقارئ، فوحدة العنوان والنص يشكلان ثنائية وعلاقة وطيدة مؤسسة لأي عمل أدبي، فهو أهم عنصر لأنه المتحكم في جذب القارئ للولوج داخل النص أو الفرار منه لهذا وُجب على كل مؤلف اختيار العنوان بدقة واستراتيجية.

إذ يعرّف العنوان في الاصطلاح:" بنية لغوية مشحونة الدلالة والمتمثلة لفكرة النص بقصدية من قبل المُرسل، يحكمها سباق قادر على أحداث التواصل مع المرسل، ويكون الفضاء الطباعي هو القناة التي تقوم بعملية الاتصال فيما بينها"[2] أي وحدة اتصال بين الملقي والمتلقي.

---

[1]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص08.

[2]–مر جميل شامي الرشدي، العنوان والاستهلال في مواقف النفري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص31

ويعرفه "ليوهوك" أنّه:" مجموعة العلامات اللسانية التي يمكن أن تندرج على رأس نص تحدد على محتواه العام وتعرف الجمهور بقراءته"[1] أي أنّ العنوان يمثل إشارة لمحتوى النص المراد قراءته فبه يمكن للقارئ أن يتفاعل معه أو عكس ذلك، وعليه فقد اختار الجاحظ عنواناً لهذه الرسالة وهو " الحنين إلى الأوطان"، إذ يعطي هذا العنوان صورة أو خلفية لما تتضمنه الرسالة من مواضيع أو أحداث، فيبدو مميزا لما تحتويه لفظة " الحنين" من جمالية وقيمة وإشارة واضحة عما تحمله من معنى.

ولكي نقارب بين دلالة العنوان مع محتوى الرسالة لابد من أن نسلط الضوء على مفهوم الحنين وعلى أي نوع من الحنين يتحدث عنه الجاحظ في الرسالة؛ وعليه فالحنين هو شعور داخل روح الإنسان، يلازمه في حالة ابتعاد أو فراق أو فقدان لشيء ما، فيحسّ الإنسان بالحزن والألم والذبول والخمول كذا الإرهاق النفسي لما يحمله من معاناة، فمصطلح الحنين مرتبط بالذكريات والمرجعية، ففعل التذكر هو الذي يحيي هذا الشعور بالحنين.

حيث تتعدد أنواع الحنين، فهناك من يحنُّ إلى شخص عزيز قد توفي أو غادره زمنياً، أو قد يحنُّ إلى فقدانه لشيء مادي ذو قيمة لذي عزيز عليه،...الخ.

وفي الرسالة التي بين أيدينا نلاحظ نوعاً آخراً مميزاً تماماً عن غيره فإذا بالجاحظ يتحدث عن الحنين إلى أرض الوطن ومرابع الصبا.

فالرسالة مزيج من النثر والشعر متضمنين موضوع واحد وهو "الحنين" وهذا أسلوب الجاحظ في أدبه، فتراه يطرح أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها نثراً ويستدل بالأشعار مؤكداً لذلك، مما يضفي على الرسالة طابعاً جماليا يجذب القارئ إلى التلقي ويبعده عن

[1]–محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، مج 28، ع1، سبتمبر 1999، ص456.

الملل والضجر، حيث يقول إنه إذا ذُكرت التربة والوطن حنَّ المغترب إليه حنين الإبل إلى أعطانها، ويستدل بموقفه من أخبار العرب وأقوال الشعراء إذ يقول الشاعر:

"إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهمائم
حنينا إلى أرض بها اخضرّ شاربي وحُلت بها عني عقود التمائم "[1]

ومن خلال ما سبق فإن للعنوان دلالة يرمي الجاحظ من خلالها تجسيد ما يحسّ به في هذه الرسالة فهي بمثابة الوسيط الدلالي بين النّص والقارئ، أي مرآة تعكس محتوى النص للمتلقي، ومن خلال هذا فالجاحظ يريد الكشف عن أحاسيسه ومشاعره في حنينه إلى وطنه ومرابع صباه وأن يشارك غيره في هذا، فالقارئ لهذه الرسالة من خلال العنوان " الحنين إلى الأوطان" تتضح له خلفية حول النّص الذي هو بصدد قراءته.

3/ المقدمة:

تعتبر المقدمة الركيزة الأساسية و الأولى التي يعتمدها القارئ في ضبط كل ما يحمله النص من أفكار ورؤى ودلالات ومقاصد تساهم في توضيح الطريق له ولكي يدخل إلى عالم ذلك النص ، فقبل الولوج إلى أيّ موضوع والتّعرف إلى عناصره ومباحثه يجب المرور والبدء بالمقدمة حيث يقوم المؤلف فيها بالحديث بشكل عام عن نصه أو مؤلفه أو بحثه، ليُعطي صورة أو خلفية أو ملخص لذاك العمل ليتمكن القارئ بعد ذلك متابعة هذا العمل وتحديد مدى أهميته بالنسبة له، وهنا يكمن دور المقدمة التي تعمل على الحصول على اهتمام القراء وجذب انتباههم للاطلاع على عناصر ومحتويات كل عمل .

حيث جاء مفهوم المقدمة في معجم الوسيط:" والمقدمة من كل شيء أوله ومن الجيش طائفة منه تسير أمامه، ومنه يقال مقدمة الكتاب وأيضا مقدمة الكلام"[2] ، وهذا يعني ما يأتي في أول الكلام وبداية له قبل الشروع في التفاصيل والمحتويات.

---

[1]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص06.

[2]– إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر، معجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط2، 1973، ج2، ص719.

والمقدمة " ليست ذلك النص الذي لا تستقيم قراءتنا إلا به، إنّها نص مهمل ومشحون إنّها وعاء معرفي وأيديولوجي يخترق رؤية المؤلف وموقفه عن إشكاليات عمره، إنّها مرآة المؤلف ذاته"[1]، وبالتالي فالمقدمة تمثل مفتاح أو بوابة النّص قبل الولوج داخله وذلك بفك الغموض من تلميح وإشارات لمضمون ومحتوى ذلك النص، حيث تختلف المقدمات من عمل لآخر وعلى حسب المؤلف، كما للرسائل أساليب تفتح وتقدم بها، فنرى الجاحظ في رسالتنا " الحنين إلى الأوطان «قد بدأ مقدمتها بالبسملة قوله " بسم الله الرحمن الرحيم"[2] وهي عبارة يقرؤها المسلمون قبل الشروع في أيّ فعل أو قول أو عمل كالعبادات، فالبسملة مفتاح القرآن فلا تقرأ سورة إلا وابتدأت بالبسملة ماعدا سورة التوبة، وهي أول ما أمر الله به جبريل أن يُقرئه للنبي صلى الله عليه وسلم، قوله عز وجل:" اقرأ باسم ربك الذي خلق"[3]

ومعنى الابتداء بالبسملة هو أخذ المباركة من الله سبحانه قبل القيام بأي شيء، والجاحظ كونه من أصحاب المعتزلة لا يغفل عليه هذا الأمر بأن يبدأ كلامه وخطابه بذكر اسم الله من أجل بداية طيبة ينشرح بها صدر القارئ تساعد روحه وجوارحه على متابعة القراءة

وبعد البسملة مباشرة يتطرق الجاحظ إلى ذكر سبب تأليف كل ما هو مشتت ومتفرق من جميع أصناف العلم، حيث يقول:" إنّ لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الأدب سببا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتا، ومعنى يحدو على جمع ما كان متفرقاً"[4]

ثم توجَّه إلى الحديث عن عاقبة تجاهل وغفلة كل من الأدباء والعلماء وأصحاب المعرفة لاستنباط الآثار وضم أشتات العلوم لبعضها البعض، فيقول في هذا:" بطلت الحكمة

---

[1]– عبد المالك أشبهون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، ص 132.

[2]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 05

[3]– سورة العلق، الآية 01.

[4]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 05.

وضاع العلم وأميت الأدبُ"[1]، يشير بهذا إلى دور الكتابة والتدوين وأهميتها في المحافظة على أنواع وأصناف العلوم وتوارث المخزون الفكري عبر الأجيال والعصور فهي أهم مراحل تحول الإنسان الحضاري عبر التواصل بينه وبين سائر الموجودات ومع البعد الزمني والتاريخي لأسلافه وأحفاده، إذ تعتبر من عوامل التوسع المعرفي للإنسان.

لقوله: " لولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر. ونقرهم آثار الأوائل في الصخر، لبطل أول العلم وضاع آخره"[2] ويرمي بذلك أنه لولا ضمّ شتى أصناف العلوم ببعضها البعض وجمع ما كان متفرقاً منها لما بقيت آثاره عبر الأجيال يستفيد منها القادم عن السابق، لهذا قال:" لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلّم منه الآخر"[3].

ثم ذكر الجاحظ سبب جمعه لنتف ومقتطفات من أخبار العرب في أشعارها، حول حنينها إلى أوطانها ووصفهم لحزنهم ومشقة الافتراق والبعد عن الوطن ألا وهو تعدد صدفه بملاقاته بالعديد من المغتربين عن أوطانهم فإذا بهم مغتربين في بلد أفضل من بلدهم وأرض أخصب من أرضهم ومكان أعمر من مكانهم ولكن كانوا إذا ذكر الوطن والتربة اهتزّ القلب ودمعت العين بذكر هذا الأخير وانتفضت المشاعر والحنين والشوق لجليل السلطان عظيم الشأن، إذ هم مدينون لوطنهم وحبهم له فلا شك في ذلك فهو الانتماء لا نكران لذلك.

ثم نراه يربط دور الكتابة والتدوين ومساهمتها في كتابته لرسالته هذه التي بين أيدينا "الحنين إلى الأوطان"، فلولا أن دُوّنت الأشعار والإبداعات النثرية التي موضوعها حب الوطن والحنين إليه لما استطاع جمع كل هذه الأخبار عن العرب وضمها ضمن رسالة جميلة تحمل موضوع قد رافق الإنسان منذ القدم ومنذ نشوئه في وطن وأرض ينتمي إليها.

---

[1]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص05.

[2]– المصدر نفسه، ص05.

[3]–المصدر نفسه، ص06.

وفي الأخير لا يسعنا القول أنّ هذه المقدمة متميزة بدايةً بالبسملة، ثم تطرّق إلى ذكر أسباب التأليف والجمع مروراً بالحديث عن دور الكتابة وأهميتها، في حفظ العلوم وتدوينها ليشعر القارئ بمدى مساهمتها في جمعه لأخبار وأشعار العرب المتعلقة بموضوع الحنين إلى الوطن لهذه الرسالة، فقد كان غرضه من خلال هذا الربط والتلاحم بين الأفكار هو استمالة القارئ وإثارة مشاعره للتفاعل مع النّص والتمتع بعباراته الساحرة ومعانيه الجميلة.

4/ الخاتمــة:

تمثل الخاتمة آخر قطعة في العمل الأدبي ونهاية للموضوع المطروح وهي آخر ما يورده الكاتب، وعادةً يسعى المؤلف فيها إلى تقديم عرضاً مختصراً وجيزاً وشاملاً في نفس الوقت، مبسطا لما تناوله خلال رحلة عمله من البداية إلى النهاية ليتوصل في الأخير إلى نتائج وحلول وتوصيات وملاحظات، ولكن يختلف الأمر في رسالتنا "الحنين إلى الأوطان"، إذ هي رسالة أدبية وليست كبحث علمي يسعى للوصول إلى نتائج وحلول، فقد اختار أن يختتم رسالته هذه بالدعاء، عن طريق أبيات شعرية تحمل معنى حبّ الوطن والتعلّق به، موظفاً أجمل العبارات القوية، والمؤثرة ليستعطف القراء والسامعين، حتى يشاركه من خلال هذه الأبيات أنينه وحزنه مع الآخرين، و التضرع إلى الله .

حيث يقول:

"ســـقى الله أرض العاشـــقين بغيثـــه ورد إلـــى الأوطـــان كـــل غريـــب
وأعطـــى ذوي الهيئـــات فـــوق منـــاهم ومتـــع محبوبـــاً بقـــرب حبيـــب"[1]

وهذه كانت آخر العبارات في الرسالة إذ أراد الجاحظ بهذا الدعاء اللجوء إلى الله عز وجل، طالباً منه التّخفيف عن روحه وعن القراء من شدة وصعوبة هذا الإحساس الرّهيب

[1]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 44

بالشّوق إلى الوطن والإحساس بفراغ الغربة، وأن يردّ كل غريب وبعيد إلى أرضه ووطنه، فلجوء الكاتب إلى الدعاء في آخر الرسالة زادها جمالاً وهذا يشير إلى ثقافته الدينية وتمسكه بالله عز وجل واللجوء إليه في كل الأحوال، فمن جماليات الختام أن تكون بآية قرآنية أو دعاء أو إلقاء السلام، فالدعاء في الأعمال الأدبية يمثل قولاً أساسيا في صناعة الخطاب إذ يبين مقام المؤلف ويحدد صلته بالقارئ.

الفصل الثالث: ظواهر فنية في رسالة الحنين إلى الأوطان

1/ الصورة الفنية:

تعدُّ الصورة الفنية من أهم السِّمات المميزة للعمل الأدبي فلا يكادُ يخلو عملٌ أدبي منها، لذلك اهتم الأدباء والشعراء بها، وإذا قلنا الصورة الفنية فنحنُ نقصِدُ ما تشتمل عليه من تشبيه واستعارة ومجاز، وتعدّ " أداة الخيال ووسيلته، ومادته الهامة التي يمارسُ بها، ومن خلالها "[1]، فلا تتشكلُ الصُّورة إلاَّ بتوظيف تعبيرٍ مجازي يكون الخيالُ عنصرهُ الأساسي، أمَّا عن دورها فهي تعمل على تقوية وتأكيد المعاني.

ولقد اعتمد الجاحظ في رسالته على عنصر الخيال بكثرة، معتمدا في ذلك على مختلف وعديد الصور الفنية، من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها.

1)التشبيه:

ويعدّ أبرز أنواع الصّور البيانية، والأكثر استعمالا، لما له من أهمية في تقريب المعنى وتصويره والتشابه هو" التقارب الذي يحدث بين الموصوف والصورة الواصفة، رغم انفصالهما في الأصل"[2]؛ والتشبيه هو أَنَّ شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة قد تكون ملفوظة أو ملحوظة، كما أَنَّ للتشبيه أربعة أركان وهي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشَّبه، وقد تنوّعت التشبيهات في رسالة الحنين إلى الأوطان ويمكن أنْ نتتَبعَ بعضها على النَّحو التالي:

1-1-التشبيه البليغ:

وهو " التشبيه الذي تَجَرَّد من الأداة ومن وجه الشبه معًا ".[3]

---

[1]- جابر عصفور " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب الدار البيضاء، بيروت لبنان، ط 3، 1992، ص 14.

[2]- محمد عبد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، مجلد عدد 20 ص 142

[3]- نفسه ص150

وهو تشبيه يتطابق فيه المشبه والمشبه به ويتساوى تسوية تامة ومن أمثلته في رسالة الجاحظ –الحنين إلى الأوطان–قول الشاعر:

" فنحنُ ملوك الأرض خصبا ونعمةً ونحنُ أسودُ الغاب عند الهزاهزِ"[1]

فقد شبَّه الشاعر النّاس بالأسود في الشدَّة والقوَّة، وقد حذف أداة التَّشبيه ووجه الشَّبه، فجعل النَّاسَ أسودًا وهذا لا يتحقق إلاَّ بالعيش في الوطن خلاف من اغترب عنه.

1-2-التشبيه الضّمني:

وهو " تشبيه غيرُ ظاهر الأركان بل نَحُسُّ أنَّ العبارة تتضمَّنُ تشبيهًا ".[2]

وهذا التشبيه لا يوضعُ فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب ومن أمثلته في الرسالة قوله:

"سقى الله أرض العاشقين بغيثه وردّ إلى الأوطان كل غريب"[3]

وهنا يشبِّه الشَّاعر حبُّ الوطن بحُبِّ العاشقين كما يظهرُ في قوله:

وباشرتُها فاستعجلتْ عن قناعها وقد يستخفُّ الطامعين المباشِرَ[4]

قد يعتقدُ القارئ أَن الشاعر يتحدثُ عن محبوبتهِ بينما هو يصف لنا شعور المغترب عند عودته إلى وطنه بعد طول غياب.

---

[1]– الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان، ص 19.

[2]– ينظر، الخطيب التزويني، الإيضاح في علوم البلاغة تج: الشيخ يخ عزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1988، د.ط، م1، ص 195.

[3]– الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 44

[4]– المصدر نفسه، ص 37.

1-3-التشبيه التمثيلي:

وهو تشبيه صورة بصورة لهذا نجدُ وجه الشبه متعدد العناصر، ومن أمثلته في الرسالة "فكان إذا ذكرَ التربة والوطن حَنَّ إليها حنين الإبل إلى أعطانِها"[1]

وهنا يصور لنا صورة وحنين المغترب، وشوقه إلى بلده بشوق وحنين الإبل إلى أعطانها، وقد حاول الجاحظ من خلال توظيفه للتشبيه أن يوضح الفكرة ويظهرها في صورة محسوسة مع تجسيد المعنى، فمن منا لا يعرف الجاحظ ولا يعرف براعته في اختيار الألفاظ والكلمات وفي انقياد الكلمات إليه.

2) الاستعارة:

الاستعارة تعدُّ نوعا من أنوع الصور الفنية والبلاغية "وهي عند العرب أسلوب من الكلام يكونُ في اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي"[2]، يمكنُ أنْ نقول أنَّ الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وهي نوعان استعارة مكنية واستعارة تصريحيَّة

2-1-**الاستعارة المكنية:** هي تشبيه يحذف فيه المشبه به ويذكر المشبه.

2-2-**الاستعارة التصريحية:** هي تشبيه يُصَرَّحُ فيه بالمشبه به ويحذف فيه المشبه.

ومن أمثلتها في الرسالة:

"إن السبب على جمع نتفٍ من أخبار العرب"[3]

---

[1]-الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 06.

[2]- محمد عبد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، مجلد عدد 20 ص 161

[3]-الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 06.

فقد شبه الأخبار بشيء مادي مثل الطعام الذي يمكنُ تقسيمه إلى أجزاء، وذكر المشبه الأخبار وحذف المشبه به وهو الشيء المادي واستعارَ قرينة تدل عليه وهي " جمع النُّتف " على سبيل الاستعارة المكنية ويكمنُ سرُّ جمال الاستعارة في التصوير المعنوي وتجسيده في صورة محسوسة، وكما نجد الاستعارة المكنية في قوله " حضنتني " "حضنتني أحشاؤها"[1]

فقد شبّه الأحشاء بالإنسان الذي يحضنُ فذكر المشبه الأحشاء وحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة تدل عليه وهي الاحتضان على سبيل الاستعارة المكنية.

كذا قوله: "أرضعتني أحشاؤها"[2] كذا قوله: "الطبيعة تتطلَّعُ لهوائها"[3].

3)الكناية:

تعد الكناية من أبرز الصور البلاغية التي اهتم بها علماء البلاغة لما لها من أهمية في إيراد المعنى وتجسيده، بل إننا نجدهم قد اتفقوا على كنايات محددة لمعان معينة.

والكناية "اسم جامع تعرّف بكونها اللفظ الذي أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى"[4]، ومعنى ذلك أن الكناية لفظ استعمل في غير معناه الأصلي، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، وهذا النوع اهتَمَّ به علماء البلاغة كما اهتمّ به الجاحظ، ويتجلى في الرسالة في قوله:

"قال الأطباء ما يشفيك قلتُ لهم دخانٌ رمتٍ من التَّسرير يشفيني"[5]

---

[1]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 14.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص 10.

[4]– محمد عبد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، مجلد عدد 20 ص213

[5]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 23.

وهنا كناية على أن الدواء من وطنه حتى ولو كان دخان رمتٍ[1] وهي كناية عن موصوف، فيصوّر الشّاعر شدة تعلقه فيرى في الرمت وهو مرعى من الإبل بحمص دواء يشفيه وهي كناية عن صفة.

ويقول أيضًا:

معاشـــر بـــيض لـــو وَرَدَتْ بلادهـــم وَرَدَتْ بحـــوراً ماؤهـــا للنـــدا عـــذبٌ[2]

الشاعر يُبيِّنُ الفرحة الكبيرة بالعودة للوطن والتي قد تصبحُ مياه هذه البحار عذبة من شدة الفرحة، وهي كناية عن صفة.

ثانيا: البديع وأبعادهُ الدلالية والجمالية في رسالة الحنين إلى الأوطان

إذا كان البيان من السِّمَات الفنيَّة للجاحظ، فإنَّ البديع أيضاً من أهمِّ السِّمات في كتابات الجاحظ في رسالته وقد أضفى على الرسالة جمالاً فنيًّا ومن أنواع البديع.

1) الطباق:

الطباق في اصطلاح رجال البديع هي " الجمع بين الضِّدين أو بين الشيء وضدِّه في الكلام" [3]، وقالت العرب بالأضداد تتضح المعاني، ونعني بالطباق أن يجتمع في الكلام بين اللفظةِ وضِدّها، أَما عن أثره فإنه يزيدُ المعنى قوة ووضوحاً فلن نفهم الظلام إلا بالنُّور ... وهو نوعان:

1)1- **طباق الإيجاب:** وهو " ما صُرِّحَ فيها بإظهار الضِّدين ".[4]

---

[1]- الرمت: مرعى من الإبل من حمص.

[2]- الجاحظ، الحنين إلى الأوطان ص32

[3]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 77

[4]- نفسه، ص79

ومن أمثلته في القرآن الكريم قول المولى عز وجل "وأنهُ هو أضحك وأبكى، وأنه هو أماتَ وأحيي"[1] فالطباق بين (أضحك = أبكى) وبين (أمات = أحيى)

طباق الإيجاب في قوله: " وليسَ ببابه إلا ببابه راغبٌ إليه أو راهب منه "[2]

الطباق بين (راغبٌ وراهبٌ)

وكذا قوله:

إذا كنت في قومٍ عِداً لست منهم فكل ما علقت من خبيثٍ وطيبٍ[3]

طباق الإيجاب (خبيث = طيب)

أ. **طباق السلب:** وهو "ما لم يُصَرّح فيها بإظهار الضدين"[4] ومن أمثلته من القرآن الكريم قوله عَز وجل:

" هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "[5]

طباق السلب بين (يعلمون = لا يعلمون)

ومن أمثلته من رسالة الحنين إلى الأوطان.

وكذا قوله " ... تتفقدُ من وجهها وهيئتها مالا تتفقدُه "[6] وهنا نجد طباق السلب بين (تتفقدُ = لا تتفقدُه).

---

[1]– سورة النجم الآية (3–4)

[2]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 06.

[3]– المصدر نفسه، ص14

[4]– عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص80

[5]– سورة الزمر الاية9

[6]– عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص15.

وكذا قوله:

وكـــم مُـــتَمَن عيشـــنا لا ينالـــه ولـو نالـه أضـحى بـه حَـقَ فـائز[1]

وهنا طباق السلب بين (لا يناله = ناله)

أما عن أثره في المعنى فالطباق يزيد المعنى قوة ووضوحا، والجاحظ بارعٌ ودقيق في اختيار الكلمات فوضع كل كلمة موضعها بحيث تؤدي المعنى المرادُ منه وهي ملكة تفرد بها عن غيره من كتاب عصره.

الجناس:

ومن ألوان البديع أيضاً الجناس وهو " تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى"[2] وهذا النوع يحدث أثراً ووقعاً في نفس المتلقي لأنه يحدث جرساً موسيقيا فيزيدُ من جمال التعبير وقوته.

والجناس نوعان: جناس تام وجناس ناقص.

أما الجناس التام فلا وجود له في الرسالة بخلاف الجناس الناقص فقد وظّفه الجاحظ في رسالته بكثرة ومن أمثلته:

" وقيل الغربة كربة "[3] والجناس بين كربة والغربة

وكذا بين (حضنتني أحشاؤها وأرضعتني أحساؤها)[4]
جناس ناقص بين (أحشاؤها وأحساؤها)
وكذا في قوله " ليس فيها أذى ولا فدى "[5]

---

[1]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 19.

[2]– عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 196

[3]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 13.

[4]– المصدر نفسه، ص 14.

[5]– المصدر نفسه، ص 18.

جناس ناقص بين (أذى = فدى)

وأيضاً " نعقد بَلَغَ مني المجهود، وأدرك مني المجلود " [1] الجناس الناقص بين المجهود والمجلود، الملاحظ أنّ الجاحظ لم يتكلفه بل كان نابعاً من عمق التجربة، وقد أضفت نعماً موسيقيا يثيرُ النفس وتطربُ إليه الآذان.

السّجع:

من ألوان البديع أيضاً السّجع وهو " توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد " [2]

السّجع هو انتهاء فواصل الكلمات بنفس الحرف وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها، " وأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهرْ " [3]، ومن أمثلته في رسالة الحنين إلى الأوطان قوله: " أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، والى مسقط رأسها تواقة " [4]

وكذا قوله " أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها توقد النار في أكبادها " [5]، ونجد السجع أيضاً في قوله " وأكرم الصفايا أشدها وَلَهاً إلى أوطانها، وأكرمُ الإبل أشدتها حنيناً إلى أوطانها، وأكرمُ المهارى أشدها ملازمة لأُمهاَ " [6]

إنّ السجعَ يحدث جرساً موسيقيا عذباً تطربُ إليه النفوس، وتستلذ الآذانُ سامعه خاصة إنْ لم يكن متكَلفاً، وقد قلّ توظيف السّجع في الرسالة ذلك لأن الجاحظ يميلُ للسهولة والوضوح والبساطة مع الإيجاز.

---

[1]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 20

[2]– عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 215.

[3]– سورة الضحى الآية 9

[4]–الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ص 08.

[5]– المصدر نفسه، ص 06.

[6]– المصدر نفسه، ص 12

الخاتمة

الخاتمة

ما من بداية إلا ولها نهاية، وبعون الله وصلنا إلى نهاية خاتمة بحثنا المتواضع الموضح لأدبية الخطاب النثري في رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ، توصلنا إلى النتائج نلخصها في النقاط التالية:

1-تحديد وضبط المصطلحات التالية، إذ اتضح لي أن الأدبية تعني العناصر الجمالية الفنية المطلوب توفرها في عمل ما كي يصبح أدبا، أما الخطاب فهو نظام تعبيري مضبوط ومتقن، في حين أن الرسالة هي قطعة نثرية قد تمزج ببعض الشعر، ويختلف هيكلها حسب نوع الرسالة.

2 -ترابط العلاقة بين النص والمتلقي ترابطا وثيقا، فالقارئ هو المسؤول عن كشف جماليات النص، والغوص في أعماقه، وتوضيح معالمه.

3 -جمال الأسلوب البلاغي عند الجاحظ من صور بيانية ومحسنات بديعية، حتى عند انتقائه من الكلام الفصيح فإنه يختار أشرف المعاني وأعمقها.

4 -ثقافة الجاحظ الواسعة؛ وقد تجلت من خلال استشهاده بالموروث الهائل في هذه المدونة " الحنين إلى الأوطان ".

5-من خصائص أسلوب الجاحظ الاعتماد على أسلوب السخرية، غير أنه في هذه الرسالة ابتعد كل البعد عن هذا الأسلوب، ولأنّ الجاحظ يريد أن يصور لنا إحساس المتألم بالغربة.

6-التداخل الجميل والغني بين الأجناس الأدبية في هذه الرسالة، من الشعر والنثر والقرآن الكريم وأقوال الفلاسفة والحكماء، والأمثال المأثورة عند العرب ضمن تداخل منسجم حيث يكمل كل جنس الجنس الأخر، وهذا ما زاد في تعميق المعنى وزيادة درجة التأويل لدى المستقبل.

7-اعتماد الجاحظ على أسلوبي لاقتباس المباشر وغير المباشر، ويظهر الأول في ذكر بعض أسماء الشعراء الفلاسفة والحكماء، أما الأسلوب الثاني والذي أكثر منه الجاحظ فيتجلى في عدم ذكر الجاحظ لأسماء الشعراء وأرقام الآيات الكريمة.

8-اكتشاف الجاحظ لآليات الإجرائية المساهمة في عملية القراءة منذ القديم، ووظفها في كتاباته مثل الحذف مثلا هذا الذي لم يتم اكتشافه الغرب إلا في منتصف الستينات والذي أطلق عليه الفراغات وأحدثوا به ضجة.

9-إشارة الجاحظ إلى نظرية لم تبرز معالمها حتى ظهور مدرسة كونسطونس الألمانية في نظرية التلقي، غير أنه تحدث عنها في القرن الرابع للهجرة.

10-وأخيرا الجاحظ يصور لنا في رسالته «الحنين إلى الأوطان " عمق الألم الذي يشعر به، ولوعة فراق بلده البصرة، كما يخفّف عن نفسه بالاستئناس بأقوال الشعراء والفلاسفة والحكماء في تجسيدهم لفراق أوطانهم.

ويمكن القول أن الجاحظ أكبر بكثير مما هو بين أيدي الدارسين والباحثين، وهذا مما يصعب الحكم عليه انطلاقا من هذه المدونة أو من خلال نصوص أخرى، وفي الأخير أتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بعض الشيء في عملنا هذا المتواضع، الذي نأمل أن يعود بالنفع والفائدة على كل من يطرق بابه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

* القرآن الكريم.

* الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان.

ثانيا: المراجع:

1. ابن منظور، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1424، مجلد1
2. العاكوب عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، ط1، (1997،2006)،
3. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993م.
4. محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
5. الهوامل والشوامل، التوحيدي ومسكويه: تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951.
6. يول آرون، دينيس سان، جاك، آلان فيالا، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمود محمد حمو.
7. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار النشر اللبناني، بيروت، ط1، 1405هـ،1985هـ.
8. محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة.
9. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، ج03، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1399 هـ، 1979م، ط2.
10. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.
11. عزيز عبد العتيق، الأدب العربي في الأندلس.

12. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، مصر، 1338هـ/1919م، ج14.
13. أحمد الهاشمي، جوهرة الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الجبل، ط01، 2003.
14. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،
15. محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1406 هـ/ 1986 م.
16. خليل مردم، الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،
17. شارل بلاث، تر: د إبراهيم الكيلاني، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية، 1961.
18. الجاحظ، البيان والتبيين تح هارون، ج 3.
19. أرسطو طالسين، الخطاب، تح / عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979.
20. مر جميل شامي الرشدي، العنوان والاستهلال في مواقف النفري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
21. محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، مج 28، ع1، سبتمبر 1999.
22. إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر، معجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط2، 1973، ج2.
23. عبد المالك أشبهون، عتبات الكتابة في الرواية العربية.
24. سفيتان تودوروف، تر: عبود كاسوحة، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،2002.
25. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مكتبة مشكاة الإسلامية، ج 09.
26. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1952.

27. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014.

28. فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1409هـ-1989م.

الفهرس

الفهرس

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة .....أ

مدخل: مفاهيم نظرية حول الأدبية، الخطاب، الرسالة

1/-مفهوم الأدبيـة 2

2/-الخطـاب 3

3/-الرســالة 5

الفصل الأول: الجاحظ (حياته ومدرسته)

المبحث الأول: الجاحظ.....10

1/ مولده ونسبه 10

2/ نشأته.....10

3/ حياته الأدبية.....11

المبحث الثاني: خصائصه وأسلوبه 12

أ/ التعليل والتحليل 12

ب/ الاستطراد 13

ج/ الفكاهة والسخرية.....13

د/جزالة الألفاظ 14

المبحث الثالث: مدرسة الجاحظ (مدرسة التحليل والتفريع والاستطراد).....15

الفهرس

1/-طابعها 15

2/-أعلامــها 16

الفصل الثاني: البحث في عتبات النص في رسالة الحنين إلى الأوطان

1/ الاستهلال 18

2/ العنوان 19

3/ المقدمة 21

4/ الخاتمــة 24

الفصل الثالث: ظواهر فنية في رسالة الحنين إلى الأوطان

أولا: الصورة الفنية 27

ثانيا: البديع وأبعادهُ الدلالية والجمالية في رسالة الحنين إلى الأوطان 31

ملخص البحث:

تتمحور هذه الدراسة حول " أدبية الخطاب النثري في رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ، حيث تضمنت هاته الرسالة نتفا ومقتطفات من أخبار العرب حول حنينها وشوقها وحبها إلى أوطانها، متتبعين منهج سيميائي نسعى من خلاله إلى الكشف عن خصائص ومميزات النص وإبراز جمالياته الفنية.

ووفقاً لهذا المنهج فقد سار البحث على خطة تتوافق معه، إذ احتوى على مقدمة يليها مدخل تناولنا فيه مفاهيم نظرية حول مصطلح الأدبية والخطاب والرسالة، وتضمن ثلاث فصول: الفصل الأول فصل نظري عن الجاحظ وحياته الأدبية ومدرسته وخصائصها، أما الفصل الثاني فقد خُصص لدراسة البحث في عتبات النص في رسالة الحنين إلى الأوطان، ثم يأتي الفصل الثالث يدرس بعض الظواهر الفنية في الرسالة.

الكلمات المفتاحية: الأدبية، الخطاب، الرسالة، الحنين، الجاحظ.

Abstract :

This study shed a light on the literary prose discourse through the “Letter of Nostalgia for Homeland” to AL Jahid, which included extracts from Arab news about its nostalgia, longing and its love for its homelands. So that, we had used an artistic approach, in order to reveal the characteristics and advantages of the text and highlight its artistic aesthetics.

Our study proceeded on a plan that corresponds to it, as it contained an introduction followed by an introduction in which we dealt with theoretical concepts about the term literary, discourse and letter, and included three chapters: The first chapter was a theoretical chapter on Al-Jahid, his literary life, his school and its characteristics. While the second chapter was devoted to study the formal structure of the letter of nostalgia for the homelands, then comes the third chapter that studies some artistic phenomena in the letter.

Keywords: literary, discourse, letter, nostalgia, Al-Jahid**.**

Abstrait :

Cette étude a mis en lumière le discours littéraire en prose à travers la «Lettre de nostalgie de la patrie» à AL Jahid, qui comprenait des extraits d'actualités arabes sur sa nostalgie, son désir ardent et son amour pour sa patrie. Pour cela, nous avions utilisé une démarche artistique, afin de révéler les caractéristiques et les avantages du texte et de mettre en évidence son esthétique artistique.

Notre étude s'est déroulée sur un plan qui lui correspond, car elle contenait une introduction suivie d'une introduction dans laquelle nous avons traité des concepts théoriques sur le terme littéraire, discours et lettre, et comprenait trois chapitres : Le premier chapitre était un chapitre théorique sur Al -Jahid, sa vie littéraire, son école et ses caractéristiques. Alors que le deuxième chapitre était consacré à l'étude de la structure formelle de la lettre de nostalgie des patries, vient ensuite le troisième chapitre qui étudie certains phénomènes artistiques dans la lettre.**Mots-clés** : littéraire, discours, lettre, nostalgie, Al-Jahid.